أخلاق مهنة الطب عند مهذب الدين ابن هُبَل البغدادي

الباحث/ إسلام محمود أحمد
مدرس مساعد بقسم الفلسفة الإسلامية
كلية دار العلوم – جامعة المنيا

المستخلص:

اعتنى الفلاسفة والأطباء العرب والمسلمين بالأخلاق، ووضعوا الأسس والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، ومن هذه الأخلاقيات، أخلاقيات مهنة الطب؛ فضمنوا مؤلفاتهم ومصنفاتهم فصولاً تحدثوا فيها عن الأخلاقيات التي يجب أن يتحلى بها الطبيب، والأسس والقواعد التي تهذب سلوكه، وتضبط عمله.

وتحاول هذه الدراسة التأصيل لأخلاقيات مهنة الطب عند مهذب الدين ابن هُبَل البغدادي المتوفى (٦١٠هـ)، ولأهمية هذا الجانب عنده، فقد عَدَّهُ ابن هُبَل أمرًا ضروريًّا قبل ممارسة الطبيب لمهنته، فقد وضع ابن هُبَل شروطًا لا بد من توافرها في متعلم وممارس مهنة الطب، منها ما يتعلق بتكوينه البدني، ومنها ما يتعلق بالأخلاق، ومنها ما يتعلق بالسلوك والعمل، وضعها ابن هُبَل لتكون دستورًا أخلاقيًّا يسير عليه الأطباء.

وتميزت أخلاقيات مهنة الطب عند ابن هُبَل بأنها ذات صبغة إسلامية، مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق الإسلامية ــ أخلاقيات مهنة الطب ــ مهذب الدين ابن هُبَل البغدادي.

Abstract:

Muslim and Arab philosophers and physicians have paid attention to ethics, and set the basis and rules that regulate human behavior, including ethics of the medical profession. They have included chapters in their writings and compilations in which they have talked about the ethics that a physician must have, and the basis and rules that refine their behavior, and control their work.

This study seeks to establish the ethics of the medical profession according to Muhadhdhib al-Dīn ibn Hubal al-Baghdādī, who died in ٦١٠ AH. This aspect was of great significance for Ibn Hubal, so he considered it a necessary matter before the physician practices his profession. Ibn Hubal set conditions that must be met by the learner and practitioner of the medical profession, including those related to his physical composition, some related to ethics, and some related to behavior and work. Ibn Hubble has developed it to be a moral constitution to be followed by physicians.

Ibn Hubal's medical ethics were characterized by being of an Islamic nature, derived from the teachings of the Islamic religion.

Keywords: Islamic ethics - Ethics of the medical profession - Muhadhdhib al-Dīn ibn Hubal al-Baghdādī

أخلاق مهنة الطب عند مهذب الدين ابن هُبَل البغدادي*(١)

اقترن علم الطب منذ نشأته بمجموعة من القيم الأخلاقية المنظمة لعمل الطبيب، والمستعد لتعلم مهنة الطب، تنظم هذه القيم سلوك الأطباء، وتحدد مسؤوليتهم تجاه مرضاهم، وهو ما يُعرف بأخلاقيات مهنة الطب(٢)، أو الأخلاق الطبية، وهي أحد موضوعات الأخلاق التطبيقية(٣)، وقد أفاض العلماء على مر العصور في وضع هذه القيم وضرورة العمل بها، والتحذير من تجاهلها، ويمكن التأصيل لذلك بدءًا بالحضارة المصرية القديمة التي نجد فيها إرهاصات للأخلاق الطبية في البرديات(٤) الكثيرة المتعلقة بالطب، فاقتصر الطب في الحضارة المصرية القديمة على الكهنة، فكان لزامًا

* هذا بحث مستل من رسالة الدكتوراه بعنوان (المنهج التجريبي عند مهذب الدين ابن هُبَل البغدادي المتوفى ٦١٠ هـ في الطب والصيدلة، دراسة وتطبيق).

(١) أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هُبَل البغدادي، ويلقب بمهذب الدين أبو الحسن ويعرف بالخلاطي نسبة إلى مدينة خلاط، ولد ببغداد في باب الأزج، بدرب ثمل، في الثالث والعشرين من ذي القعدة من سنة خمس عشرة وخمسمائة، ونشأ ببغداد، أما عن تعليمه، فقد كان يذهب إلى دور تحفيظ القرآن حتى أتم حفظه، وأتقن تلاوته، ثم شرع بعد ذلك في تعلم العلوم الأخرى، فأخذ النحو عن عبد الله بن أحمد بن الخشاب النحوي، ودرس الفقه في المدرسة النظامية، ودرس الأدب على هبة الله بن الشجري، وسمع الحديث وروى عن محمد بن أحمد بن مالك العاقولي، وعن أبي القاسم السمرقندي، وقرأ علم الطب حتى برع فيه، حتى صار أوحد وقته وعلامة زمانه في صناعة الطب وفي العلوم الحكمية، وقد درس الطب على يد أبو البركات بن ملكا، أما عن رحلاته فقد خرج ابن هُبَل من بغداد إلى الموصل واستوطنها، وصنف فيها كتابه (الطب الجمالي) نسبة إلى الوزير جمال الدين الأصفهاني، والذي عُرف عنه كثرة سخائه ووفرة عطائه حتى عُرف بالجواد، وألف ابن هُبَل أيضًا في الموصل كتابه (المختار في الطب)، ثم رحل عن الموصل إلى بلاد الروم (خلاط)، وصار طبيب السلطان الأشرف أبو الفتح موسى بن محمد شاه أرمن، فارتفع قدره، وكثر ماله، ثم غادر خلاط إلى (ماردين) عند بدر الدين لؤلؤ النظام، وهناك كُف بصره وتقدم سنّه مما دعاه إلى العودة إلى الموصل مرة أخرى، و كان الناس يقصدونه في منزله ويشتكون إليه أمراضهم ويقرؤون عليه علم الطب، أما عن مؤلفاته لم يكن ابن هُبَل يكتفي فقط بتعليم الطب عن طريق التدريس، بل اهتم بجانب آخر هو جانب التأليف أو التعريب لعلم الطب، حيث جاءت أغلب مؤلفاته لتبسط علم الطب وتيسره على المشتغلين به، وهي:

١ـــ كتاب الطب الجمالي

٢ـــ في النار الفارسية

٣ـــ الآراء والمشاورات

٤ـــ أمراض الصدر وآلات النفس

٥ـــ مقامة سماها دعوة الأطباء

٦ـــ الكتاب الفاخر في الطب

٧ـــ موسوعته الكبيرة المسماة (المختار في الطب)

أما عن وفاته فقد ظل ابن هُبَل يعلم الناس في بيته بالموصل بعد أن أقعده كبر سنه وكف بصره، حتى وافته المنية في الثالث عشر من شهر المحرم لسنة عشر وستمائة، للمزيد حول ترجمته راجع: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق ودراسة د. عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ابن المستوفي: تاريخ إربل، تحقيق سامي السقار، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م، ج٢، ص٥٢٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية، د.ت، ج٦، ص٢٠٩، الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ج٢٠، ص١١٠، الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٤، ص٢٥٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٦م، ج١٤، ص٤٤١.

(٢) أخلاقيات مهنة الطب: هي مجموعة المبادئ والمثل التي يجب على الطبيب الالتزام بها سواء أثناء ممارسته لمهنة الطب، أو في حياته الشخصية والاجتماعية (د. عمر محمد: أخلاقيات مهنة الطب من خلال كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دراسة تحليلية، بحث منشور بمجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الرابع والخمسين، محرم١٤٤١هـ، ص٣٨٩).

(٣) الأخلاق التطبيقية: هي مجموعة من القواعد الأخلاقية العملية المجالية، تسعى لتنظيم الممارسة داخل مختلف ميادين العلم والتكنولوجيا وما يرتبط بها من أنشطة اجتماعية واقتصادية ومهنية، كما تحاول أن تحل المشاكل الأخلاقية التي تطرحها تلك الميادين، لا انطلاقًا من معايير أخلاقية جاهزة ومطلقة، بل اعتمادًا على ما يتم التوصل إليه بواسطة التداول والتوافق، وعلى المعالجات الأخلاقية للحالات الخاصة والمعقدة والمستعصية، أما مجالات الأخلاق التطبيقية فمنها: أخلاقيات الطب والبيولوجيا، وأخلاقيات البيئة، وأخلاقيات الاقتصاد، وأخلاقيات المعلومات، وأخلاقيات الإعلام والاتصال، وأخلاقيات التكنولوجيا، وأخلاقيات تكنولوجيا الفضاء (د. عمر بوفتاس: الأخلاقيات التطبيقية ومسألة القيم، بحث منشور بمجلة الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، الدار البيضاء، المغرب، عدد مايو، ٢٠١١م، ص١١١).

(٤) البرديات الفرعونية التي تناولت المعالجات الطبية والعمليات الجراحية التي قام بها المصريون القدماء هي: بردية ايوني سميث، بردية ايبرز، بردية هيرست، بردية كاهون، بردية لندن، بردية برلين، وتعد بردية سيمث أهم وأشهر هذه البرديات، حيث تعتبر أقدم وثيقة جراحية علمية وصلت إلينا، تحتوى على معلومات في علم التشريح الفسيولوجي، تثبت براعة ومهارة قدماء المصريين في إجراء العمليات الجراحية في المخ، وحوت أيضًا وصفًا دقيقًا للقلب (يُنظر: د. جميل عبد المجيد: تنظيم صنعة الطب خلال عصور الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٥).

على الطبيب الكاهن أن يحافظ على نظافته، ويغتسل بالماء مرتين نهارًا، ومرتين ليلاً، ويرتدي ثيابًا بيضاء، وعليه أن يقص شعره كل ثلاثة أيام، وكان على الطبيب أن يلتزم ويسير على مقتضى القوانين المنظمة لصنعة الطب، فإن خالفها ومات المريض بسبب تلك المخالفة فإن عقوبته الإعدام(١)

أما في بلاد الرافدين فنجد شريعة حمورابي(٢)، التي نظمت صنعة الطب، فشملت العديد من القوانين والقواعد التي تضبط سلوك الأطباء، وحددت أجور الأطباء، وأسعار الخدمات الطبية، واهتمت بالعقوبات التي تُفرض على الطبيب إذا أخطأ في علاج المرضى، أو تسبب في إلحاق الضرر بهم، فشريعة حمورابي تنص على أن الجراح إذا ما استعمل مشرطه البرونزي، وأخطأ في استعماله تقطع يده، وإذا تقاضى أجرًا أكثر مما يستحق يعاقب بالحبس، أيضًا فرضت عقوبة على الحاضنات والمرضعات اللاتي يهملن في العناية بالرضع.(٣)

كذلك نجد الاهتمام بالأخلاق الطبية واضحًا وجليًا عند اليونان، فكانت صنعة الطب قبل اليونانيين حكرًا على فئة معينة تمارس هذه الصنعة، وتعلمها لأبنائها، إلى أن جاء الطبيب اليوناني أبقراط(٤)، الذي يُعد أول من علَّم الطب، ونشره بين الناس حتى لا تنقرض هذه الصنعة، ونظم صنعة الطب، ووضع المبادئ والقواعد المنظمة لسلوك الأطباء في قَسمه المشهور(قسم أبقراط)، وهو قسم وضُع لتحديد سلوك الطبيب وأخلاقياته، وتدور أهم بنوده حول المحافظة على حياة المريض في جميع الحالات، ولقد كان هذا القسم متفقًا من حيث تحريم قتل المريض مع مجموعة من القواعد(الفيثاغورية) التي وضعت أيضًا في نفس العصر، لتحديد سلوك الطبيب وتحديد علاقاته بزملائه ومرضاه.(٥)

أما في العالم الإسلامي فقد ازدهر الطب في أيام الدولة الإسلامية، ووصل لمرحلة لم يسبق لها مثيل في الأمم السابقة عليهم، فقد ترجم المسلمون منذ وقت مبكر

---

(١) يُنظر: د. محمد علي البار وآخرون، موسوعة أخلاقيات مهنة الطب، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص٨١.

(٢) شريعة حمورابي: هي التشريعات القانونية والإدارية التي أصدرها الملك حمورابي، وحمورابي معناها السيد العظيم، أو رئيس العائلة، بدأ حكمه لبابل حوالي عام ١٧٢٨ق.م، وامتد حكمه لمدة ثلاثة وأربعين عامًا، سجل حمورابي هذه القوانين على مسلة كبيرة من حجر الديورانت الأسود، طولها حوالي ٢٢٥سم، رتبت مواد شريعة حمورابي في أربعة وأربعين حقلاً (انظر: شريعة حمورابي، ترجمة محمود الأمين، دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، ٢٠٠٧م، ص٧، ٩، د. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٤م، ج١، ص٦٩٤).

(٣) يُنظر: د. عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، ص٢٤.

(٤) أبقراط: طبيب يوناني، ولد في جزيرة كوس حوالي سنة ٦٤٠ ق.م، وتوفي في لاريسا عام ٣٧٥ق.م، له شهرة كبيرة في الطب، حتى لقبوه بأبي الطب، صاحب النظرية الشهيرة في الطب، وهي نظرية الأخلاط، والتي مجملها أن الجسم يحتوي على أربعة أخلاط هي: الدم، والبلغم، والسوداء، والصفراء (ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مج١، ص٢٠٢).

(٥) يُنظر: ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد ١٧٤، يونيو ١٩٩٣، ص٣٩.

كتب العلوم التي نقلوها من الأمم السابقة، ومن بينها كتب الطب، وعكف المسلمون على دراسة التراث الوافد إليهم، بالتحليل والنقد والدراسة، فقبلوا ما يتفق مع مبادئ وتعاليم الإسلام، وصححوا ما ثبت لهم بالتجربة والمشاهدة من أخطاء السابقين، وأضافوا وابتكروا العديد مما يُنسب لهم، فلم يكن المسلمون على آية حال نقلة للتراث اليوناني، ولم يكونوا مجرد قنطرة عبرت عليها العلوم إلى الغرب دون تفاعل أو إضافة لهم.

وإدراكًا لأهمية أخلاق مهنة الطب، أو القواعد المنظمة لعمل الأطباء، فقد تناول الأطباء في الحضارة الإسلامية مبحث الأخلاقيات، فيما عُرف عندهم بـــ (أدب الطبيب) وجاءت كلمة الأدب جامعة لكل ما يُحترز به عن جميع أنواع الخطأ في ممارسة المهنة على ضوء ما ينبغي أن يكون، وحفل التأليف الطبي عند المسلمين بمصنفات كثيرة تناولت بالدراسة أخلاق الطبيب، وجاءت معالجة هذه المصنفات للموضوع في ثلاثة مباحث أساسية، اشتملت على:

أولاً ـــ ما يجب على الطبيب اعتقاده، والآداب التي يُصلح بها نفسه وأخلاقه.

ثانيًا ـــ المؤهلات والشروط العلمية والبدنية والنفسية اللازمة لحسن مزاولة المهنة.

ثالثًا ـــ ما ينبغي للطبيب أن يحذره ويتوقاه، وبيان الحدود المشروعة لعمل الطبيب.(١)

لقد تفاعل الدين الإسلامي بأخلاقياته مع القواعد الأخلاقية التي انتقلت إليه من الحضارات الأخرى، لتظهر قواعد مصطبغة بروح الإسلام، وقائمة على فكرة مراعاة حرمة المريض ومصلحته، فقد ركزت الأخلاق الطبية على فكرة حفظ الطبيب لأسرار المريض عملاً بالحديث النبوي الشريف" من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة"، كذلك لا يجوز إخبار المريض بخطورة مرضه، ولو كان ميؤوسًا من شفائه، عملاً بالحديث النبوي الشريف «إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ، فَنَفِّسُوا لَهُ فِي الْأَجَلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَهُوَ يُطَيِّبُ نَفْسَ الْمَرِيضِ»(٢)، وغيرها من القواعد التي تدور حول احترام المريض واحترام مشاعره.(٣)

---

(١) يُنظر: د مصطفى لبيب، الأخلاق الطبية في تراثنا الإسلامي، بحث منشور بكتاب المؤتمر الدولي الأول لقسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الدار المصرية السعودية للطبع والنشر، ٢٠٠٥م، ص٣٩٤.

(٢) سنن الترمذي، الجزء الرابع، ص٤١٣، رقم الحديث: (٢٠٨٧)؛ مصنف ابن أبي شيبة، رقم الحديث: (١٠٨٥١)؛ وضعفه الألباني: (ضعيف سنن الترمذي، ص٢٣٥).

(٣) يُنظر: د ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، ص٤٢.

ولأهمية هذه الأخلاقيات وأثرها في ازدهار صنعة الطب وضع ابن هُبَل فصلاً كاملاً في موسوعته الطبية (المختار في الطب) ضمنه مجموعة من الشروط التي ينبغي أن تتوافر في متعلم وممارس هذه الصنعة.

فيذكر ابن هُبَل أن القدماء من الحكماء كانوا يحتاطون في حفظ صنعة الطب وصيانتها عن غير أهلها، فكانوا يتخيرون لها التلاميذ بطريق الفراسة، فيختارون من كان حَسَن الصورة، متناسب الأعضاء، معتدل المِزاج، طاهر الأخلاق، ويأخذون عليهم العهود والمواثيق في حفظها وصيانتها عن غير أهلها، ولزوم قواعد الحكمة. (١)

وبلغ الاهتمام بالطبيب وحُسن اختياره مبلغًا عظيمًا؛ فوضع علماء المسلمين ومنهم ابن هُبَل عددًا من الشروط الواجب توافرها في المتعلم أو المستعد لتعلم صنعة الطب، وأول هذه الشروط هي:

الشروط البدنية لطالب الطب:

وضع ابن هُبَل مجموعة من الشروط الجسمانية (٢) التي ينبغي أن تتوافر في المستعد لتعلم صنعة الطب وهي:

١ــ أن يكون معتدل مقدار الرأس بقياس الصدر؛ لأن كِبَرَ الرأس بقياس الصدر يدل على رطوبة الدماغ وبلادة الذهن، وصِغَرُهُ بقياس الصدر يدل على الحِدة والطيش.

٢ ــ أن يكون معتدل البطن والصدر، فإن كان البطن عظيمًا بقياس الصدر دل على الشَّرهَ (٣) والشَّبق (٤) والبَلَه (٥).

وكذلك الصدر إن زاد كثيرًا بقياس البطن دلَّ على الحِدة وسرعة الغضب. (٦)

٣ ــ أن يكون حَسَنَ الصورة والشكل، محبوبًا إلى القلوب، لا عبوسًا ولا قطوبًا، تشتاق النفوس إلى رؤيته وتهش إلى محادثته ومكاثرته.

٤ ــ أن يكون معتدل الجسم فيما بين السَّمن والهزال، وإلا فالهزال أصلح.

---

(١) ابن هُبَل: المختار في الطب، تحقيق د محمود مهدي، مركز تحقيق التراث العربي، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، القاهرة، ٢٠١٣م، ج١، ص٤٥.

(٢) الشروط الجسمانية لطالب الطب أو ممارس صنعة الطب، أكد عليها جميع الأطباء، فنجد أول من اهتم بصفات الطبيب هو أبقراط، فقد ورد عنه أنه قال: "ينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مواتية، وحرص شديد، ورغبة تامة، وأفضل ذلك كله الطبيعة، لأنها إذا كانت مواتية، فينبغي أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثمر ثمارًا حسنة (ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المجلد الأول، ص٢٠٦).

(٣) الشَّرَهُ: أَسْوَأُ الحِرْصِ، وَهُوَ غَلَبَةُ الحِرْصِ، شَرِهَ شَرَهاً فَهُوَ شَرِهٌ وشَرْهانُ. وَرَجُلٌ شَرِهٌ: شَرْهانُ النَّفْسِ حَرِيصٌ (ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٥٠٦).

(٤) الشَّبَقُ: شِدَّةُ الغُلْمة وطلبُ النِّكَاحِ. يُقَالُ: رَجُلٌ شَبِقٌ وَامْرَأَةٌ شَبِقَةٌ، وشَبِقَ الرَّجُلُ، بِالْكَسْرِ، شَبَقاً، فَهُوَ شَبِقٌ: اشْتَدَّتْ غُلْمَتُهُ (ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هــ، ج١٠، ص١٧١).

(٥) رَجُلٌ أَبْلَهُ، بَيِّنُ البَلَهِ والبَلاهَةِ: غافِلٌ، أو أَحْمَقُ لا تَمْييزَ له، والمَيِّتُ الداءِ، أي: من شَرُّه مَيِّتٌ، والحَسَنُ الخُلُقِ، القَليلُ الفِطْنَةِ لِمَداقِّ الأمورِ، أو من غَلَبَتْهُ سَلامَةُ الــصَّدْرِ (الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م، ص١٢٤٣).

(٦) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٥٠.

٥ ــ أن يكون لونه أبيض مُشربًا حُمرة، وأن يكون الجبين واسعًا بقياس الوجه، واسع ما بين الحاجبين.

٦ ــ أن يكون أشهل العينين[١]، وأن تكون العينان كأنهما تضحكان، وأن يكون مقدارهما معتدلاً في ما بين الجُحُوظ[٢] والغور[٣]، وإلا فالغور أصلح، وأن يكون صاحبهما مطراقًا مُحدقًا. [٤]

٧ ــ أن يكون أسيل الخدين[٥]، صغير اللحيين[٦]، خفيف العارضين[٧]، معتدل القامة، لا مُنحنيًا ولا مجنَّح الأكتاف.

٨ ــ أن يكون طويل العَضُدين[٨]، ممتدَّ اليدين، لطيف الأطراف، قليل لحم الراحة، طويل الأصابع، ممسوح العَجِيزة[٩]، منتصب الساقين.

أكدَّ ابن هُبَل على صحة الجسم والأعضاء لمتعلم مهنة الطب؛ لأنها من الأمور التي سيحتاج إليها في ممارسته للمهنة.

الشروط الأخلاقية:

وضع ابن هُبَل مجموعة من الشروط الأخلاقية، والخصال الواجب توافرها في المستعد لصنعة الطب، هذه الشروط تميزت بأنها ذات صبغة إسلامية، مستمدة من البيئة الإسلامية، والأخلاق الإسلامية، وبلغ اهتمام علماء المسلمين بالجانب الأخلاقي في إعداد وتأهيل الطبيب، أنهم نصحوا بألا يتعلم الطب أصلاً إلا ذو الأخلاق الحسنة، والتدين القوي، وأن كثيرًا من أساتذة الطب رفضوا أن يعلموا الطب إلا لمن حاز هذه الصفات الحسنة. [١٠]

ومن هذه الشروط التي وضعها ابن هُبَل ما يلي:

١ ــ أن تكون أخلاقه محمودة، متوسطة في ما بين السرعة والبُطء، والجُبن والتهور، وإن كان الجبان البطيء من الأطباء لنفسه خيرًا من العجول المتهور.

---

(١) الشهلُ: حُمْرة فِي سَوَادِ الْعَيْنِ كالشُّكْلَة فِي الْبَيَاضِ (ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٣٧٣).

(٢) الجحُوظ خروج المقلة ونُتوءها مِنَ الحجاج. وَيُقَالُ: رَجُلٌ جاحِظُ العَيْنين إِذا كَانَتْ حدقتاه خَارِجَتَيْنِ (السابق، ج٧، ص٤٣٧).

(٣) الغَوْرُ: القَعْرُ من كلِّ شيء (الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص٤٥٢).

(٤) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٥١.

(٥) أسيل الخدين: وَهُوَ السَّهْلُ اللَّيِّنُ الدَّقِيقُ المُستَوِي (الزبيدي: تاج العروس، دار الهداية، د.ن، د. ت، ج٢٧، ص٤٤٦).

(٦) اللحيان: حَائِطَا الْفَمِ، وَهُمَا الْعَظْمَانِ اللَّذَانِ فِيهِمَا الأَسنان مِنْ دَاخِلِ الْفَمِ (ابن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص٢٤٣).

(٧) خفيف العارضين: يُرَادُ بِهِ خِفَّةَ شَعْرِ عَارِضَيه، أي خفة اللحية (السابق، ج٧، ص١٨١).

(٨) العضد: الساعدُ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْمِرْفَقِ إِلى الْكَتِفِ (السابق، ج٣، ص٢٩٢).

(٩) العجيزة: هي مؤخرة الإنسان، والمقصود هنا أن مقعدته ليست كبيرة.

(١٠) يُنظر: د. عبد الرحمن النقيب، الإعداد التربوي والمهني للطبيب عند المسلمين، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص١٩٣.

٢ ــ أن يكون متوسط الحال فيما بين الطيش والوقار، وإلا فالوقار أصلح، وكذلك بين الغضب والخمود والنباهة، والخمول والتبذر والبُخل. (١)

٣ ــ أن يكون ذكي الحواس، مستيقظ الفِطنة، محبًا للفضائل، عاشقًا للحكمة، مهتمًا بالأمور، حَسَن الأخلاق، طلق الشمائل، عَذب الكلام، صادق اللهجة، دَيِّن الضمير، معروفًا بالستر والعفاف.(٢)

ما يشترط في سلوكه وعمله:

اشترط ابن هُبَل عدة شروط ترجع لسلوك متعلم وممارس صنعة الطب، يجب أن تتوفر فيه وهي:

١ ــ أن يكون رغبته في تعلم صنعة الطب طالبًا بها وجه الله تعالى، وحسن ثوابه، وأن لا يطلب عليها جزاء من المخلوقين. (٣)

٢ ــ أن يتوفر الطبيب على من يستطيع أن يفي بواجب تدبيره منهم، وأن يمشي إلى ضعفائهم، ولا يتكبر على فقرائهم، ولا يستنكف عن مداواة من أنهكته الأعلال وكثُرت به الخُراجات والمواد استقذارًا له وأنفة منه. (٤)

٣ ــ ألا يلتمس الطبيب من المرضى ــ أي لا يطلب من المرضى أجرًا على خدمته لهم ــ إلا أن يُعطوا من غير طلب، وأن يستعين بما يصل إليه من أغنيائهم على مداواة الضعفاء الذين تتعذر عليهم الأدوية. (٥)

٤ ــ على الطبيب أن يلقى المرضى بالهشاشة والبشاشة والإيناس. (٦)

٥ ــ يجب على الطبيب ألا يتوغل في ذكر الأدوية الغريبة غير المألوفة، وأن يستعمل الأدوية المشهورة أو ما يقوم مقامها. (٧)

٦ ــ أن يكون الطبيب ناصحًا فيما يقصده من عمل هذه الصناعة، متقربًا بنصحه وعمله إلى الله تعالى لا إلى الخلق. (٨)

---

(١) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٥٢.
(٢) السابق نفسه.
(٣) السابق: ج١، ص٤٦.
(٤) يُنظر: السابق، ج١، ص٤٧.
(٥) يُنظر: ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٤٦.
(٦) يُنظر: السابق نفسه.
(٧) يُنظر: السابق، ج١، ص٤٧.
(٨) يُنظر: السابق نفسه.

هذا المبدأ مازال موجودًا حتى اليوم، فقد نصت المادة الثانية في لائحة آداب المهنة على أنه "يلتزم الطبيب في موقع عمله الوظيفي أو الخاص بأن يكون عمله خالصًا لمرضاة الله وخدمة المجتمع الذي يعيش فيه بكل إمكانياته وطاقاته". (١)

٧ ــ على الأطباء ألا يُعطوا السموم لغرض أو خطرٍ أو سخطٍ، ولا يتخذوها، ولا يعلموها، ولا يتعلموها إلا في مَعرِض مداواة من لعله يُسقَى منها. (٢)

٨ ــ للعامل النفسي عند المريض أثر كبير في الشفاء، لذا نجد ابن هُبَل ينصح الطبيب عند دخوله على المريض بأن يتطهر، ويتزين، ويتطيب، كي يجد المريض عند مشاهدته الراحة منه. (٣)

٩ ــ أيضًا استنادًا إلى أثر العامل النفسي للمريض في الشفاء، ينبه ابن هُبَل على الأطباء في حال معالجتهم للمرضى بأن يُظهروا التفاؤل للمريض بقرب شفائه، وأن يتجنبوا من الكلام ما يغم المريض، وأن يطمئنوه قدر المستطاع، وأن "يُحسنوا سؤالهم، وتطييب قلوبهم، ولا يُيئسوا المرضَى في أمراضهم المعروفة الخطر من العافية، فيتعجلوا منهم سقوط القوة، وضعف الرجاء، الذي وراءه من جانب الله تعالى عِلمُ ما لم يعلموا، فليس في طاقة البشر الاطلاع على جميع أسرار الخليقة، ومعرفة حُسن نظالم العالم، فقد طال ما خرج الطبيب من عند المريض وهو ميؤوس منه، فعاد إليه وقد فتح الله له أبوابًا من الصحة، وخرج من عند آخر، ورجاؤه فيه أوثق من وثوقه بقوة بدنه واستقامة صحته، ثم قُضي عليه". (٤)

١٠ ــ يرى ابن هُبَل أن الطبيب ينبغي له أن يكون عارفًا بمقدار قُوى الأدوية، وحدود أفعالها، وما فيها من المنافع والمضار، لا يفوته شيء من ذلك، ولا يصرف العناية إلى الدواء المركب، إلا إذا لم يتفق من المفرد من الأدوية ما يقوم مقامه، وكلما أمكن تقليل عدد المفردات في الدواء المركب، والدواء المركب إنما يركب بقياس، فإذا شهدت له التجربة كان خيرًا من غير المجرب. (٥)

ومنهج ابن هُبَل في العلاج يوافق فيه الأطباء السابقين عليه، فلزامًا على الطبيب أن يبدأ بالأدوية المفردة، فإن لم تنجح الأدوية المفردة في علاج

(١) لائحة آداب المهنة الصادرة بقرار وزير الصحة والسكان، قرار رقم ٢٨٣، لسنة ٢٠٠٣م، الباب الثاني، ص٤.
(٢) يُنظر: ابن هبل، المختار في الطب، ج١، ص٤٨.
(٣) يُنظر: السابق نفسه.
(٤) يُنظر: ابن هبل، المختار في الطب، ج١، ص٤٨
(٥) السابق: ج٢، ص٤١٩.

العلة، فيلجأ إلى استخدام الأدوية المركبة، فإن لم يستجب الجسم لهذه الأدوية، كان أخيرًا التدخل الجراحي.

أيضًا ينبغي للذي يقوم بتركيب الدواء أن يعتمد على الأدوية الشريفة المنافع، وعلى ما له منها خاصية فعل ليست موجودة لغيره من الأدوية، فيترك في المركب منها ما هو أكثر، وإذا احتاج إلى ما هو وضيع المنفعة، أو يقوم كثير من الأدوية مقامه، ترك منه أقل. (١)

١١ــ ألا يصف من الأدوية ما يسقط الأجِنَّة، ولا ما يمنع الحبَل لقطع النسل، إلا أن يدعو إلى ذلك أمر عظيم يُخشى منه هلاك المرأة في الحمل والوضع. (٢)

ويرى ابن هُبَل أن على الأطباء كتمان هذه الأدوية عن العوام، فيذكر أنه" لا ينبغي أن يُذكر لعوام الناس الأدوية والتدابير المانعةُ من الحبل والمسقطة للجنين، وإنما ذلك يكون بين الأطباء، فإنهم قد يُضطرون للعمل به في مواطن، فإن المرأة قد يكون بها من المرض بحيث إنها إذا حملت لم يسلم جنينها، وربما هلكت، فتضطر إلى أن تستعمل من التدابير والأدوية ما يمنع حبلها". (٣)

وينبه ابن هُبَل الأطباء إلى ضرورة مراعاة طبيعة جسم المريض في وصفه للدواء، وقدرة تحمل الجسم لهذا الدواء، فيقول: "وليحذر المعالِجُ أن يسقي دواءً قويًا مسهلًا لمن كانت معدتُه أو كبدُه ضعيفةً، وليلطف الحيلة في استخراج المواد عن هذه الأعضاء بالرفق مع التوقي والحذر، وكذلك يحذر أن يورد الدواء القوي الشديد اللذع على عضو شديد الحس، فإنه لا يأمن معه انحلال قوته وضعفها". (٤)

١٢ ــ يؤكد ابن هُبَل على أن يكون الطبيب كاتمًا لأسرار مرضاه، لا يبوح بشيء مما اطلع عليه أو أباح به المريض، فينبه على المشتغلين بهذه الصنعة أن يحفظوا الأسرار؛ لأنهم يطلعون من الناس على ما لا يطلع عليه الآباء ولا الأولاد من أحوال المرضى، وأن يلزموا العفة وغض الطرف (٥)، وإذا دخلوا بيوت الناس لا تكون هِممهُم مصروفة إلا إلى ما يعود بمصالح المرضى. (٦)

---

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق: ج ١، ص٤٧.

(٣) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج٤، ص١٦٠.

(٤) السابق: ج١، ص٥٢٥.

(٥) نلاحظ أن ابن هُبَل يؤكد على ما سبقه إليه أبو بكر الرازي في رسالته المشهورة أخلاق الطبيب، فيرى الرازي أنه ينبغي "للطبيب أن يكون رفيقًا بالناس، حافظًا لغيبهم، كتومًا لأسرارهم، لا سيما أسرار مخدومه، فإنه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه من أخص الناس به، مثل: أبيه وأمه وولده، ويفشيه إلى الطبيب ضرورة" (الرازي: أخلاق الطبيب، تقديم وتحقيق د. عبد اللطيف العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م، ص٢٧).

(٦) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٤٨.

ولا شك أن ابن هُبَل قد تأثر بقسم أبقراط، فقد أكد أبقراط على ضرورة حفظ سر المريض، وعدم النطق بها "وأما الأشياء التي أعانيها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها، في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا يُنطق بها خارجًا، فأمسك عنها وأرى أن أمثالها لا ينطق به". (١)

١٣ــ أن يمتحن الطبيب (٢) حتى يوثق بعلمه وعمله، وأن يُنظر ماذا أنفق زمانه الماضي، فلا بد أن يكون له باعٍ طويل في الاشتغال بهذه الصناعة، وملازمة خدمة الكُبراء من أهل الصنعة، وطول مصاحبتهم، والقراءة عليهم، وأن يمارس العلاج بين أيديهم، والتدرب في الدخول على المرضى في بيوتهم، وملازمة خدمة البيمارستان (٣) الذي يجتمع فيه حُذاق الأطباء، وكثرة نظره إلى معالجة أستاذه، فيُشار إليه ويُعول عليه. (٤)

واشتراط ابن هُبَل هذا كان متابعًا فيه للأطباء العرب والمسلمين الذين سبقوه، فقد اشترطوا على طالب الطب أولاً دراسة الكتب الطبية الأساسية مثل كتب (أبقراط، وجالينوس(٥)، حنين(٦)، الرازي(٧)، وابن سينا(٨) وغيرهم في التشريح ومنافع الأعضاء ومختلف الأمراض، وإلى جانب الدراسة النظرية اشترطوا على الطالب التدرب، بأن

---

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المجلد الأول، ص٢٠٦.

(٢) أصبح تقدم طالب أو متعلم الطب لامتحان الطب إلزاميًا لمن أراد أن يمارس المهنة في جميع أرجاء الدولة الإسلامية، وعلى مر عصور الحضارة العربية من عام ٣١٩هـ، في عهد الخليفة المقتدر، وذلك بعد شكوى كبار الأطباء في ذلك العصر من مزاولة المهنة من غير المتخصصين، لأن مهنة الطب كانت تدر كثيرًا من المال، فخضعت مهنة الطب رسميًا منذ ذلك الوقت لسلطة الدولة، وتم تعيين رئيسًا للأطباء، مهمته امتحان أطباء بغداد جميعًا، ومن يجتاز هذا الامتحان يسمح له المحتسب بممارسة المهنة في نطاق ما أطلق له رئيس الأطباء ما يصلح أن يتصرف فيه. (د. جميل عبد المجيد: تنظيم صنعة الطب، ص٢٧٦).

(٣) بعد انتشار البيمارستانات في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، أصبح التدريب العملي في البيمارستان أحد المتطلبات الرئيسية في التحصيل العلمي بغرض ممارسة مهنة الطب، فالقسم العملي من الطب لا يمكن تعلمه إلا بالنظر والمشاهدة والممارسة الفعلية، أي لا يمكن تعلمه إلا بجانب أسرة المرضى، وهذا أهم ما يميز طب العرب عمن سبقهم من الأمم الأخرى (السابق، ص٣٣٤).

(٤) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٥٣.

(٥) جالينوس: طبيب يوناني، درس الطب في اليونان وآسيا الصغرى والإسكندرية، ثم أقام بروما، حيث اشتهر شهرة فائقة، برع في الفلسفة وجميع العلوم الرياضية، جدد من علم أبقراط، وكان شارحًا لكتبه التي درسها وغمضت على أهل زمانه، وكان عالمًا بالتشريح وجراحًا ماهرًا (ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مج١، ص٣٠٧).

(٦) حنين ابن إسحق: أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي، ولد بالحيرة في العراق عام ١٤٩هـ، لأب مسيحي يشتغل بالصيدلة، تتلمذ على يد يوحنا بن ماسويه، وأتقن السريانية واليونانية، عينه المأمون رئيسًا لديوان الترجمة، وكان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية من الكتب، مارس الطب والعلاج، وأصبح المرجع الأكبر للمترجمين جميعًا، ورئيسًا لأطباء بغداد، اشتهر بطب العيون حتى عُدت مقالاته العشرة في العين أقدم مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون (هيكل نعمة الله وإلياس مليخة: موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص١٣٩).

(٧) الرازي: هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، ولد في مدينة الري قرب طهران، ودرس الفلسفة والأدب والموسيقى وعلوم القرآن قبل أن يدرس الطب، من أهم كتبه الطبية كتاب (الحاوي في الطب) وهو موسوعة طبية شاملة، مليئة بالملاحظات الدقيقة عن الأمراض، والرازي يعتبر أول رائد للكيمياء العلمية، ومؤسس علم الطب التجريبي (علي عبد الفتاح: أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ج١، ص٦٥٧).

(٨) ابن سينا: هو أبو علي الحسين بن علي بن سينا، ولقد قُرب بخاري سنة ٣٧٠هـ، وتوفي بهمذان سنة ٤٢٨ هـ، رائد من رواد الفكر الإنساني، فيلسوف وطبيب موسوعي الثقافة والكتابة، ألف في علوم الدين واللغة والطب وغيرها، كان يعالج المرضى بدون أجر، واكتسب شهرة بذ بها أهل زمانه حتى لُقب بالشيخ الرئيس، من أشهر كتبه الطبية القانون في الطب (هيكل نعمة الله وإلياس مليخة: موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب، ص٥١).

يلازم الطلاب الأستاذ ومراقبة فعله عند الفحص، وكيفية المعالجة، وتصرفه، ومناقشته بجانب المريض في العيادات الخارجية بالبيمارستانات. (١)

وينبه ابن هُبَل على الطبيب أن يستخدم التجربة فيما نقله عن السابقين، وألا يسلم بصحة ما لم يجربه، وأن يطلع على ما دونه من السابقين ويستفيد منهم؛ فيقول: "والموثوق به من الأطباء من نقل عن الأستاذِين المجوّدِين، وحصَّل ما دُوّن من التصانيف القديمة والحديثة، وسمعها وصحّحها، وعرف الأدوية وعرف أمزجتها وخواصها، ناقلاً عن الأستاذ الفاضل، ومجربًا لما نقل، ومختارًا لما جُرب". (٢)

١٤ ــ أن يكون مطالعًا للكتب ودراسة هذه الصناعة، وألا يشتغل باللهو واللعب والشرب، ومواترة السُكر (٣). وأن يبغض الخلال المذمومة التي تستغرق الزمان بالتضييع، والخاطر بالتوزيع، فإن كان يُنسب إليه شيء مما سبق فلا ينبغي أن يُوثق إليه، ولا يعول في هذه الصناعة عليه. (٤)

١٥ــ يحذر ابن هُبَل من جهل الطبيب لأنه في هذه الحالة يكون عونًا للمرض فيذكر:" ولا شيء أضر على المريض من الطبيبِ الجاهل؛ لأنه يصير عونًا للمرضِ، أو عائقًا للطبيعة عن أخذ مناهج إصابتها". (٥)

والجهل بأساسيات الطب، قد يؤدي إلى ضرر عظيم بالمريض، فيرى ابن هُبَل أن "المزاولين لصناعة الجَبَرِ أكثرهم جهَّال وقرويون ممن ليس لهم معرفة بأشكال العظام ومجاوزاتهم وخطؤهم في ما يعتمدونه من هذه الصناعة أكثر من إصاباتهم، وربما تعدى ضررُ جهلهم إلى آفات أعظم من آفات العظيم من الأورام والقروح". (٦)

١٦ ــ ينبه ابن هُبَل على الأطباء ألا يتسرعوا في الأمر بإعطاء المرضى الأدوية مالم يتأكدوا من علته فيقول: "وإذا أشكل عليك المرضُ، فخَل بينه وبين

---

(١) يُنظر: د. محمود الحاج قاسم، التعليم الطبي المستمر لدى الأطباء العرب والمسلمين، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد التاسع والأربعون، ٢٠٠٢م، الجزء الأول، ص٢٠٤، ٢٠٧.

(٢) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج٢، ص١٧.

(٣) من أهم النصائح التي يقدمها ويعول عليها ابن هُبَل في أخلاق الطبيب حتى يوثق بعلمه، تجنبه للخمر، وعدم السُكر، لأنه يؤدي إلى غياب عقله، وهذه النصيحة من أبرز النصائح التي أكد عليها الأطباء قديمًا، فنجد الرازي يذكر محذرًا الطبيب من معاقرة الخمر فيقول:" وإياك ومعاقرة الشراب إذا كنت معينًا لخدمة الملوك والأكابر، فإنه ربما احتاج إليك في وقت فتصادف سكران، فتصغر في عينه، ويقع في علاجك من الخطأ ما لم يمكنك تداركه إلا إذا أمرك هو به، فأما إذا استعملته بنفسك، فبمقدار ما تحتاج إليه في حفظ صحتك، أو دفع علة ما" (الرازي: أخلاق الطبيب،ص٦٥، ٦٦).

(٤) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٥٣.

(٥) السابق، ج١، ص٥٧٩.

(٦) السابق، ج٤، ص٤٣٦.

الطبيعة[١]، فإذا أردت أن تمتحن المرض، فببعض الأدوية السليمة القليلة التي لا يخشى منها خطأ إن وقع، ولا يحملنك إظهارُ الفضل والحذاقة إذا رأيت مريضًا لم يستبن لك أمره أن تأمره بدواء وإن هان، بل توقف إلى أن يتبين لك نوع المرض، وأمُر بحفظ القوة، ولا تبتدئ بعلاج من لا تثق بقبوله منك، ولا تهجم على مداواة الطفل أو الشيخ أو من طال به المرض أو أنهكته الأعلال بدواء قوي يُخشى منه على انحلال القوة، وإن دعت الحاجة إليه لا تأمر بالدواء الشديد التقيئة ما أمكنك". [٢]

١٧ ــ ينبه ابن هُبَل على الأطباء ألا يلجئوا إلى الأدوية طالما يستطيعوا دفع المرض بالغذاء [٣]" ومهما أمكنك أن تدافع بالدواء وتستغني عنه بإصلاح الغذاء فافعل، وإن خفت اهتياج مرضٍ فبادر إلى الدواء". [٤]

١٨ــ يؤكد ابن هُبَل على أهمية مساءلة المريض ومعرفة تاريخ مرضه، وأن يلزم المريض الطبيب ويسأله عن مرضه وطرق علاجه" فمن أنفع الأشياء للعليل حُسنُ مُسَاءَلَةِ الطبيب، وأنفعُ له منهما ملازمته [٥] في حال صحته، ومعرفة ما كان يدبَّر به نفسه، وكثيرًا ما تحدث أمور من أشياء لا يعلم المريضُ أن مرضه حدث عن تلك الأشياء، ليعبر عنها ويحكيها للطبيب، وهو إنما يتمكن من علاج المرض إذا عرف سببهُ القريبَ والبعيدَ". [٦]

إن تأكيد ابن هُبَل على أهمية معرفة تاريخ الشكوى من هذا المرض أمر لا يزال موجودًا حتى اليوم في الطب المعاصر، فالسؤال عن تاريخ المرض هي البداية لتشخيصه ومتابعة تطوره، وهي من الأمور المهمة التي يبدأ بها الطبيب في تشخيص المرض.

---

(١) يوافق ابن هُبَل أبقراط في مذهبه العلاجي، فالمبدأ الطبيعي من أحد المبادئ التي قام عليها مذهب أبقراط العلاجي، أي محاكاة الطبيعة في المعالجة، فقد تحقق أبقراط بالملاحظة أن هناك أنواعًا من الطبائع لا تتغير ذات صفات ثابتة، ولكل مرض تطور طبيعي ونضوج محدود السير والمصير، وهناك مبدأ بسيط واحد في ذاته متعدد بمفعوله هو الطبيعة، وهذا المبدأ يُشرف على جميع الوظائف الحيوية ويقاوم العوامل الهدامة للجسم، وعلى الطبيب أن يساعد هذه الطبيعة في القيام بعملها، فلا بد له أن يعرف البحران وهي النقطة الفاصلة في المرض التي تؤذن بالاتجاه نحو التحسن والتفاقم، كما أن يعرف الأيام الحاسمة، لذا يجب على الطبيب أن يكون حذرًا وألا يتسرع في التدخل في سير المرض خوفًا من أن يحول دون عمل الطبيعة. (جورج قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، د.ت، ص٦٢).

(٢) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٥٨٢.

(٣) إن تعويل ابن هُبَل على المعالجة بالغذاء بدلا عن الدواء، من الأمور المهمة التي أيدها العلم الحديث، فقد ثبت أن للأدوية الكيميائية آثارًا جانبية على باقي أعضاء جسد المريض، ومن هنا جاءت نصيحته للأطباء بتقليل الاعتماد على الدواء والاستغناء عنه بالغذاء، واعتماد ابن هُبَل وغيره من الأطباء المسلمين على المعالجة بالغذاء جاء نتيجة بحثهم المتواصل ومعرفتهم بأثر التغذية في العلاج، وهذا المبدأ قد أكد عليه أبقراط حينما قال: ليكن غذاؤك دواءك.

(٤) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٥٨٣.

(٥) ملازمة المريض للطبيب أو ملازمة الطبيب للمريض من أدل الأشياء على إحكام صناعة الطب، فلزوم الطبيب للعليل كان أمرًا واجبًا لأن من المرضى من لا يحسن التعبير عما به، وهذه الوصية أكد عليها أغلب أطباء المسلمين، وأولوها اهتمامًا بالغًا لأهميتها في التعرف على المرض، بل منهم من اشترط الاستماع إلى أهل المريض وخدمه للتعرف على ما يشكو منه المريض، فنجد الرازي يؤكد على هذا المعنى فيذكر أن من أبلغ الأشياء في علاج الأمراض بعد المعرفة الكاملة للصناعة الطبية حسن مساءلة العليل، وأبلغ من ذلك لزوم الطبيب العليل وملاحظة أحواله (انظر: جلال الدين عبد القادر: مناهج البحث التطبيقية عند المسلمين، بحث منشور بمجلة هذه سبيلي، العدد ٦، ١٩٨٤م، السعودية، ص٧٨).

(٦) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٥٨٧.

١٩ ــ أن المساءلة للمريض أنفع له، فيأمر ابن هُبَل الأطباء بأن يتحققوا من المرض، فبالبحث والمساءلة للمريض تكشف ما لعله يختفي عليه إثر إضراره، فإن كثيرًا ما تكون أمراض تابعة لأمراض ينساها المريض، ويهمل أمرها لدهشته بالمرض الثاني وصرف العناية إليه، فعلى الطبيب أن يقصد المرض الأول إن كان سببًا للمرض الثاني، وهذا أقرب إلى طريق النجاح في العلاج. (١)

٢٠ ــ يرى ابن هُبَل أن اختلاف البلدان باختلاف طبائعها ومناخها قد يكون سببًا للشفاء من الأمراض، "فإذا تعسرت أمراض في الزوال، فالانتقال من بلدٍ إلى بلدٍ، خاصةً إن كان الثاني موافقًا كفي الخَطب فيه النقلة مع أيسر تدبير، وإذا حدس صوابُ التدبير، ولم يظهر له أثر في المرض فلا ينتقل عنه". (٢)

٢١ــ ينبه ابن هُبَل على أهمية الاهتمام بقوة المريض من أجل رفع مقاومة الجسم للمرض، فعلى الطبيب أن يعتني بقوة المريض كل الاعتناء ألا تسقط منه قبل الوصول إلى المنتهى، فيذكر أن "القوة للعليل تجري مجرى الزاد للمسافر، والمرض كالطريق، ومنتهى المرض كالموضع المقصود، فينبغي للطبيب إذا رأى القوة أقوى من المرض، أن يتفرغ مواد المرض، ويقلل الغذاء، فإن القوة تساعده، وإن رأى أن منتهى المرض بعيد القياس إلى ثبات القوة، لم يُقدم على الاستفراغات، وساعد القوة وحفظها وراعي أمرها، فهي مع حفظه وتقويته تفي بمدة المرض وإن طال". (٣)

فابن هُبَل لم يكن ليغفل قوة المريض وأثرها في دفع مقاومة الجسم للمرض، وذلك بجانب اهتمامه بعلاج المرض الأصلي، لأن العلاج دون الحفاظ على قوة المريض أمر عديم الفائدة.

٢٢ ــ وأخيرًا من الآداب التي يوصي بها ابن هُبَل وجود المرأة (القابلة)(٤) عند معالجة الطبيب لأمراض النساء(٥)، فينصح بالاستعانة بالقابلة ويوجهها الطبيب، فيذكر في فصل معالجة انغلاق الرحم، أنه ليس له دواء إلا الشق بالحديد، ولا بأس بجلوس

(١) يُنظر: السابق، ج١، ص٥٢٦.

(٢) السابق، ج١، ص٥٢٧.

(٣) ابن هُبَل: المختار في الطب، ج١، ص٥٨٠.

(٤) القابلة: هي المعالجة للنساء قديمًا، وكانت تساعد الطبيب بوصف داء المرأة، وتنفذ تعليماته في العلاج.

(٥) مسألة وجود القابلة في معالجات النساء من الأمور التي أكد عليها جميع الأطباء المسلمين، فنجد الطبيب والجراح أبو القاسم الزهراوي، يؤكد على هذا المعنى في حديثه عن عملية إخراج الحصاة للنساء، فينبه الأطباء إلى ضرورة أن يتخذ الطبيب امرأة طبيبة محسنة، فإن عدمتها فاطلب طبيبًا عفيفًا رفيقًا، أو أن تُحضر امرأة قابلة محسنة في أمر النساء، أو امرأة لها بعض المعرفة في صنعة الطب، فتحضرها وتأمرها أن تصنع جميع ما تأمرها به (يُنظر: د مصطفى لبيب، الأخلاق الطبية في تراثنا الإسلامي، ص٤٠٦).

القابلة، لتُري المعالج الأجسام المجاورة للغشاء أو اللحم، خاصة مما كان باطنًا، ثم يمد الجسم الذي يشق بالمراود والصنارات، والقابلة تعينه وتصرفهُ بمده.[1]

نخلص مما سبق إلى أن ابن هُبَل قد قدم مجموعة من الوصايا والآداب الأخلاقية التي يجب أن يلتزم بها ممارس مهنة الطب، هذه الآداب صالحة لكل زمان ، وفي كل مكان، فأغلب هذه الوصايا التي قدمها ابن هُبَل لا تزال موجودة في كل اللوائح المهنية الطبية الحديثة.

(١) يُنظر: ابن هبل، المختار في الطب، ج٤، ص١٣٩.

المصادر والمراجع:

- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق ودراسة د. عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.
- ابن المستوفي: تاريخ إربل، تحقيق سامي السقار، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م
- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- ابن هُبَل: المختار في الطب، تحقيق د محمود مهدي، مركز تحقيق التراث العربي، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، القاهرة، ٢٠١٣م.
- جلال الدين عبد القادر: مناهج البحث التطبيقية عند المسلمين، بحث منشور بمجلة هذه سبيلي، العدد ٦، ١٩٨٤م، السعودية.
- د. جميل عبد المجيد: تنظيم صنعة الطب خلال عصور الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م.
- جورج قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، د.ت.
- الرازي: أخلاق الطبيب، تقديم وتحقيق د. عبد اللطيف العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.
- الزبيدي: تاج العروس، دار الهداية، د.ن، د. ت.
- الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٤، ص٢٥٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- شريعة حمورابي، ترجمة محمود الأمين، دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، ٢٠٠٧م.
- الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- د. عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.
- د. عبد الرحمن النقيب، الإعداد التربوي والمهني للطبيب عند المسلمين، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.
- د. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٤م.

- علي عبد الفتاح: أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- د. عمر بوفتاس: الأخلاقيات التطبيقية ومسألة القيم، بحث منشور بمجلة الرابطة المحمدية للعلماء المغرب، الدار البيضاء، المغرب، عدد مايو ٢٠١١م.
- عمر محمد: أخلاقيات مهنة الطب من خلال كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دراسة تحليلية، بحث منشور بمجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الرابع والخمسين، محرم ١٤٤١هـ.
- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م.
- لائحة آداب المهنة الصادرة بقرار وزير الصحة والسكان، قرار رقم ٢٨٣، لسنة ٢٠٠٣م.
- محمد علي البار وآخرون، موسوعة أخلاقيات مهنة الطب، مكتبة كنوز المعرفة، جدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- د. محمود الحاج قاسم، التعليم الطبي المستمر لدى الأطباء العرب والمسلمين، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد التاسع والأربعون، ٢٠٠٢م.
- د. مصطفى لبيب، الأخلاق الطبية في تراثنا الإسلامي، بحث منشور بكتاب المؤتمر الدولي الأول لقسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الدار المصرية السعودية للطبع والنشر، ٢٠٠٥م.
- ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد ١٧٤، يونيو ١٩٩٣.
- هيكل نعمة الله وإلياس مليخة: موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.